

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوي المتين ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، فإياه نعبد وإياه نستعين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، سيد المرسلين وإمام المتقين . اللهم صل وسلم على محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ..؛

فلقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتماماً بالغاً وعظيماً فأحاطها بكل سبل التربية والرعاية وشرع لها من الحقوق ما يلائم تكوينها وفطرتها ما لم تعهده أمة من الأمم علي مر العصور والدهور وبهذا الاهتمام العظيم كانت المرأة المسلمة وراء هؤلاء الأفذاذ العظام الذين تحملوا عبء الدعوة الإسلامية ونشروها في كل بقاع الأرض وإذا كانت نماذج النساء لا تقل أهمية من حيث الكف ولكم فأما من حيث الكف نجد أن المرأة المسلمة لم تكن أقل بذلاً وعطاء في سبيل عقيدتها من الرجال وأما من حيث الكم فإن المرأة كما هو معلوم تشكل نصف المجتمع من حيث العدد فإذا وضعنا في اعتبارنا أنها تلد النصف الآخر علمنا أهميتها البالغة ودورها العظيم في بناء المجتمع المسلم فالمرأة قبل الإسلام لم تكن محل اعتبار لدي الرجل إما لجحود إنسانيتها وتجريدها منها البتة وإما لإحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضي دورها .

وحينما جاء الإسلام جعل النساء شقائق الرجال وساوي بينهما في إخوة النسب البشري: قال تعالي : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) **سورة الحجرات .**

وكذا ساوي بينهما في وحدة المعني الإنساني قال جل شأنه:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) **سورة النساء**.

وكذلك كانت المساواة في العمل وفي الجزاء عليه:قال تعالي: " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) **سورة آل عمران**.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء شقائق الرجال ، فعَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ". **أخرجه أحمد ٦/٢٥٦ ومُسلم ١/١٧١(٦٣٥)و"أبو داود" ٢٣٦ و"ابن ماجة" ٦١٢.**

مر شاعر بنسوة فأنشد يقول :

إن النساء شياطينٌ خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين**

فأجابته واحدة منهن قائلة :

إن النّساءَ رياحينٌ خلقنَ لَكم * وكلكم يَشتهى شمَّ الرَّيَاحِينِ**

وهذا البحث يتناول ثلاث نقاط مهمة في هذا الموضوع هي :

أولاً : حال المرأة قبل الإسلام .

ثانياً :المرأة في ظل التشريع الإسلامي.

ثالثاً : من صور تكريم الإسلام للمرأة .

راجي عفو ربه
دكتور / بدر عبد الحميد هميسه
hamesabadr@yahoo.com
في : ٦ ذو القعدة ١٤٣١ هـ = ١٤ أكتوبر ٢٠١٠ م

أولاً : حال المرأة قبل الإسلام

أ- من الناحية الاجتماعية :

يعرف عصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية عند جمهور المؤرخين بالعصر الجاهلي ، ويقصد به زمن الجهل وعدم المعرفة. **راجع الدكتور :على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة العربية ، صـ ٣٨ .**
وهي الفترة التي كانت الجزيرة العربية خالية من أي قانون أو كتاب يوحي إليه .

والمرأة في الجاهلية لم تكن لها مكانة عامة في كل القبائل بل تختلف مكانتها في القبيلة الواحدة عما إذا كانت تنتمي إلى بيت رفيع من غيره .

ولذا لم يكن امتهان العرب للمرأة تقليداً عاماً بل كان سلوكاً لبعض القبائل ، فقد كان كثير من حكماء العرب لا يرضى أن ينظر إلى المرأة نظرة استخفاف وإهانة. **راجع الدكتور:محمد مصطفى النجار : تاريخ العرب قبل الإسلام ،مطبعة الأزهر ، طبعة ١٩٥٣، صـ ٦٠.**

فإذا كنا نحاول وضع قضية المرأة العربية في إطارها الحقيقي فليس معنى ذلك الدفاع عن العرب أو نكران ما كانوا عليه من نقائض ومساوئ ، فالعرب أمة من الأمم فرضت عليهم معيشتهم وبيئتهم خلائق من الخير والشر ، ولم يكونوا جميعاً يكرمون المرأة ويبجلونها ، كما لم يكونوا جميعاً يحتقرونها. **راجع : الدكتور : كمال أحمد عون : المرأة في الإسلام ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ صـ ٤١ .**

ولهذا فالمرأة في بعض قبائل العرب كانت تمتاز بقوة الشخصية وحرية التصرف ، وتطمع إلى كثير من مزايا الرجل فكان منهن الشاعرات والخطيبات وكن يذهبن إلى الأسواق الأدبية فينشدن الأشعار .

كما كان من بين نساء العرب من ينتمين إلى بيت رفيع ومنهن من تشتهر

بإصابة الرأي ورجاحة العقل مثل السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها و" هند " امرأة أبي سفيان وعاتكة بنت مرة زوجة عبد مناف والتي اشتركت في حلف الأحابيش بين قريش وبين الحبشة في مكة .

في غير هذا النطاق وفي معظم القبائل ، كانت المرأة منعزلة فقد كان الرجل صاحب المركز الممتاز في الأسرة والمجتمع ، وكانت المعيشة البدوية ترغب الآباء في ذرية طيبة لأن الرجل جند للقبائل، وكانت القبيلة تجد في فتياتها من الحماية مالا تجده في معاصم فتيانها .

فمنزلتها عند الرجل منزلة متعة يستأثر بها الرجل للحياة والخدمة واللـذة ، وبالتالي لم يكن لها أي منزلة اجتماعية .

ب- من الناحية السياسية :

فإذا كان هذا هو وضع المرأة من الناحية الاجتماعية فإنه لم يكن من الطبيعي أن تمنح حقوقاً سياسية باعتبار أن الحقوق الاجتماعية هي أساس الحقـوق السياسية .

ولقد كانت هناك حالة فردية رواها لنا القرآن في سورة النمل قوله تعالي : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . **سورة النمل : آية ٢٣ .**

وهي بلقيس العربية ملكة اليمن في الجنوب وهي التي كانت تتربـع علـى عرش اليمن حتى جاء نبي الله سليمان – عليه السلام-.

وفي غير هذه الحالة الفردية نجد أن المرأة في الجاهلية كانت تعـاني مـن انحطاط وذلة ولم يكن لها أي حقوق سياسية أو اجتماعية .

وفي هذا يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- : " والله كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً حتى أنزل الله فيهن ما نزل ". **أبـو النـصر مبـشر الطرازي : المرأة وحقوقها في الإسلام ،، صـ١٠.**

فلم يكن أبغض إلى الأب من خبر يأتيه بمولد أنثى،ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله :﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾. **سورة النحل : آية ٥٨ ، ٥٩ .**

فكان وأد البنات ولقد كان ذلك في بعض القبائل خوفاً من العار وخشية الفقر ، وكانت المرأة في هذه القبائل تابعة للرجل في كل أدوار حياتها فكانت تخضع لسلطة أبيها وزوجها .

ولهذا كان العرب في الجاهلية يرون المرأة كالمتاع ، وكان إذا مات أحدهم جاء وليه فوضع عليها ثوبه فلا تستطيع أن تتزوج حتى يوافق هو على ذلك أو تفدي نفسها وكانوا يحبسونها على الولد حتى يكبر فإن شاء تزوجها وإن شاء زوجها من يختاره ويأخذ لنفسه صداقها .

ولهذا فعندما ينظر إلى وضع المرأة العربية في المجتمع نجد أنه قد جاء عليها حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً .

ج- المرأة في الديانة المسيحية واليهودية :

إن ما جاء في الكتابين المقدسين نجد أن المرأة اليهودية والمسيحية هي المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى وأنهن مدخل للشيطان. **دكتور : مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ، صـ١٦ .**

فاليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة :"المرأة أَمَرُّ مِنْ الموت،وإن الصالح أمام الله ينجو منها رجلاً واحداً بين ألف وجدت، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد " . **دكتورة : مديحة خميس : المرأة والشرائع السماوية ، دار الشعب ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٩ ، صـ٣٢ .**

وفي ذلك تقول قصة الخلق في الكتاب المقدس :" قال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاد وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك " .

وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك ... ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، فالمرأة كما ورد في التوراة هي سبب نكبة آدم وهي التي حرمته من الجنة حيث أراد الله له دوام الإقامة ، كما هي بالتالي سبب نكبتنا جميعاً فعرضت علينا الإقامة حيث التعب والشقاء . **أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، صـ١٨٨ .**

ولهذا فقد حرمتها التوراة كل حقوقها الاجتماعية والسياسية ، فالمرأة تباع وتشترى وفق نص علماء الكتاب المقدس ((إذا باع رجل ابنته تصبح أمة لا تخرج كما لا تخرج العبيد))" **خروج٢١-٧** ".

ولا ترث النساء إلا عند فقد الذكور ، وجميع مال الزوجة ملك لزوجها .. **المادة "٤١٩.**

كما أن رجال المسيحية الأوائل رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات ، ما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع ، فاعتبروا المرأة هي المسئولة عن كل ذلك.

ولذلك فهم يؤمنون بالتوراة فيعتبرون الجنس البشري كله قد تعرض للهلاك الأبدي بسبب عصيان المرأة وإغوائها لزوجها .

ولهذا فقد منعت المسيحية المرأة من التعليم وفي ذلك ما نصه رسائل "بولس" بل لست إذن للمرأة أن تتعلم ولا تتسلط على الرجل وشجعت النساء على الرهبنة .

فالمسيحية في الكتب المقدسة أشعرت المرأة بالمذلة والمهانة وضيقت عليها حتى في أقدس الأمور وهو الزواج لاعتقادهم أنها كانت سبباً للغواية. **أحمد عبدالوهاب:تعدد نساء الأنبياء ،صـ١٩٤ .**

ويقول القديس بولس : وهو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى ، فهو يرى أن حواء هي التي أخطأت أولاً ، ثم أغوت آدم فانقاد ورائها ، وبناء على ذلك وضع بولس

نظريته في الخطيئة الأصلية فهو يقول ((بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع)) **" روميه ٥ : ١ ".**

ويقول مايكل هارت عن بولس : إن القديس بولس لم يتزوج بل لم يقرب امرأة وكان له رأي في المرأة والجنس والزواج كان له أثره العميق في الفكر الأوربي يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : أقول لغير المتزوجين : إنه خير لهم أن يبقوا مثلي. **أحمد عبد الوهاب : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية ، والإسلام المرجع السابق، صـ١٩٧.**

ولهذا فقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر في العالم ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسياً تحت وطأة الشعور بالخزي والعار من طبيعتها وكيانها البشري ، ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الإحباط فيها، وقد شاركت البروتستانت في كره النساء الذي ورثه الآباء مثلما كان " أوغسطين" فيما إذا كان هناك داع على الإطلاق أن يخلقها الله أم لا.

ولما دخلت أمم الغرب في المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت في نظرتهم إلى المرأة ، فعقد الفرنسيون مؤتمراً للبحث عام ٥٨٦ للميلاد تساءلوا فيه: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان ؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل. **مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون ، صـ١٦.**

وهكذا حمَّلت اليهودية والمسيحية المرأة مسئولية الخطيئة البشرية وجعلوا موضع المسئولية في رقبة المرأة مما كان لهذه المعتقدات أثارها المدمرة على مكانة المرأة ومنزلتها في اليهودية والمسيحية ،ولهذا فإذا نظرنا إلى مكانة المرأة في التوراة والإنجيل نجد أن المرأة لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه بل تعد فتنه للرجل وهو يستعبدها لتلد له الأولاد . **عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، دار السلام القاهرة ، سنة ١٩٧٤م، صـ١٨.**

ثانيا :المرأة في ظل التشريع الإسلامي

في أواخر القرن السادس الميلادي ، ووسط هذا الظلام المخيم من قضية المرأة في جميع أنحاء العالم المتمدن وغير المتمدن يومئذ ، انطلقت من جزيرة العرب رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – يضع الميزان لكرامة المرأة ويعطيها حقوقها كاملة ، فقد رد الإسلام للمرأة حقها المسلوب في الحياة وأزال عنها ما لحقها من ظلم .

فقد رأينا كيف كان حال المرأة قبل الإسلام وكيف كانت متهمة بأنها رجس من وسائل الشيطان.

أ- المرأة في القرآن الكريم :

فكان البعض ينزلها منزلة الحيوان تباع وتشتري حتى جاء القرآن وكرم منزلة المرأة وإنسانيتها وذلك في قوله تعالي :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾. **سورة الإسراء :الآية (٧٠).**

وقد بلغ من عناية القرآن بالمرأة ذكره لمريم ابنه عمران وأن الملائكة كانت تكلمها وأن الله –تعالى– قد وهبها من الخصائص لتنجب نبياً يكون له قيادة الناس وهدايتهم. **إبراهيم النشار : الإسلام والمرأة ، صـ٣٠ .**

وبذلك أعلن الإسلام إنسانيتها الكاملة، وأهليتها الحقوقية التامة وصونها من عبث الشهوات وفتنه الاستمتاع جنسياً وحيوانياً وجعلها عنصراً فعالاً في نهوض المجتمع وتماسكه وسلامته.

ولقد أعطي القرآن الكريم المرأة عناية فالقة استهدفت هذه العناية حماية المرأة وتنظيم حياتها العامة والخاصة ، فلقد ضرب الله تعالى ببعض النساء التقيات العابدات المثل ، وجعلهن قدوات للرجال والنساء في الصلاح والتقوى

، قال تعالى : " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) **سورة التحريم**.

ولقد جاء الإسلام ليعلن حقوق المرآة كاملة فجاء القرآن الكرم ليقول: " هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ .. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) **سورة البقرة**.

وجاء القرآن الكريم ليقول : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) **سورة البقرة**.

وجاء القرآن الكريم ليقول : " الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) **سورة البقرة**.

وجَاءَ القرآن الكريم لِيَقُول " فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) **سورة البقرة**.

وجَاءَ القرآن الكريم لِيَقُول :" وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) **سورة البقرة**.

وجَاءَ القرآن الكريم لِيَقُول : " وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) **سورة النساء**.

جَاءَ القرآن الكريم لِيَقُول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) **سورة النساء.**

وجَـاءَ القرآن الكريم لِـيَـقُـول : " فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) **سورة النساء.**

وجَـاءَ القرآن الكريم لِـيَـقُـول : " وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) **سورة النساء.**

وجاء القرآن الكريم ليقول : " قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) **سورة هود.**

وجَـاءَ القرآن الكريم لِـيَـقُـول: " وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) **سورة النور.**

وجَـاءَ القرآن الكريم لِـيَـقُـول : " فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) **سورة النساء.**

وجَـاءَ القرآن الكريم لِـيَـقُـول : " أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) **سورة الطلاق.**

ب- المرأة في السنة النبوية :

ومن تقدير النبي صلى الله عليه وسلم للنساء واعترافا بأهمية وعظم دورهن في الحياة أنه خصص لهن يوما يعلمهن فيه أمور الدين ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِىِّ ، صلى الله عليه وسلم : غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ : مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَيْنِ فَقَالَ : وَاثْنَيْنِ.**أخرجه أحمد ١٤/٣(١١١٢٣) و"البُخَارِي" ٣٦/١(١٠١) و"مسلم" ٣٩/٨(٦٧٩٣).**

بل جعل من تكريمه للمرء أن يجير من تجير ،ويؤمن من تؤمن ، عَنْ أَبِي مُرَّةَ ، مَوْلَى أم هَانِئِ بِنْتِ ابِى طَالِبٍ ، انَّهُ سَمِعَ أم هَانِئِ بِنْتَ أبى طَالِبٍ تَقُولُ : ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْفَتْحِ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ ، قَالَتْ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : إنا أم هَانِئِ بِنْتُ أبى طَالِبٍ . فَقَالَ : مَرْحَبًا بأم هَانِئٍ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِىَ رَكَعَاتٍ ، مُلْتَحِفًا في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّى انَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ اجَرْتُهُ : فُلاَنَ بْنَ هُبَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَدْ أجرنا مَنْ أجرت يَا أم هَانِئٍ . قَالَتْ أم هَانِئٍ : وَذَاكَ ضُحًى.

– وفي رواية :لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أجرت رَجُلَيْنِ مِنْ احْمَائِى ، فَادْخَلْتُهُمَا بَيْتًا ، وأغلقت عَلَيْهِمَا بَابًا ، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّى عَلِىُّ بْنُ أبى طَالِبٍ فَتَفَلَّتَ عَلَيْهِمَا بِالسَّيْفِ . قَالَتْ : فَاتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ أجده ، وَوَجَدْتُ فَاطِمَةَ ، فَكَانَتْ اشَدَّ عَلَىَّ مِنْ زَوْجِهَا . قَالَتْ : فَجَاءَ النبي صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ اثَرُ الْغُبَارِ ، فأخبرته . فَقَالَ : يَا أم هَانِئٍ ، قَدْ أجرنا مَنْ أجرت ، وأمنا مَنْ أمنت. **أخرجه "أحمد" ٣٤١/٦ و"الدارِمِي" ١٤٦١ و"البُخَارِي" ٧٨/١ و٤٦/٨ ، و"مسلم" ١٨٣/١ و١٥٧/٢ .**

بل جعل من حقها أن تختار شريك حياتها ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ: إن أبى زوجني ابْنَ أخيه لِيَرْفَعَ بِى خَسِيسَتَهُ وأنا

كَارِهَةٌ . قَالَتِ اجلسي حَتَّى يَاتِىَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل إلى أبيها فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الأمر إليها فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أجزت مَا صَنَعَ أبى وَلَكِنْ أردت أن اعْلَمَ للنساء مِنَ الأمـر شيء. **أخرجه أحمد ١٣٦/٦ و"النَّسائي" ٨٦/٦ .**

وهكذا سار خلفاؤه من بعده ، روى ابن أبي حاتم، والبيهقي فـي الأسـماء والصفات أن خولة بنت ثعلبة لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنـه وهـو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها، وقضى لها حاجتها فلما انصرفت قال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجـال قـريش على هذه العجوز؟ قال: ويحك أتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لـم تنصرف حتى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها. وفي رواية للبخاري في تاريخه: أنها قالت: قف يا عمر. فوقف فأغلظت له القول. فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم! فقال: وما يمنعني أن استمع إليهـا وهـي التـي استمع الله تعالى لها فأنزل فيها ما أنزل. **الآلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن ج٢٨ ص٣.**

ولا عجب بعد ذلك أن نجد الرسول. صلي الله عليه وسلم يوصي بالنساء في آخر وصية له في حجة الوادع فيقول" أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَـا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِـسَائِكُمْ عَلَـيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ ، فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِـسْوَتِهِنَّ ،

وَطَعَامِهِنَّ . **أخرجه أحمد ٤٣٦/٣(١٥٥٩٢) و"أبو داود"٣٣٣٤ و"ابن ماجة"١٨٥١ و"التِّرمِذي"١١٦٣ و٣٠٨٧ و"النَّسائي" في "الكبرى"٤٠٨٥ .**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ". **أخرجه أحمد ٢٥٦/٦ ومُسْلم ١٧١/١(٦٣٥)و"أبو داود" ٢٣٦ و"ابن ماجة" ٦١٢ .**

بل من الثابت أنه صلى الله عليه وسلم فاضت روحه وهو على صدر زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، عَنْ ابي عمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ ، أن عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ:إن مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ أن رَسُولَ اللهِّ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَانَّ الله جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَل عَلَيَّ عبد الرحمان وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ ، وَانَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِّ صلى الله عليه وسلم فَرَايْتُهُ يَنْظُرُ إليه وَعَرَفْتُ انهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ . فَقُلْتُ: احذُهُ لَكَ ؟ فأشار برأسه أن نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ . وَقُلْتُ: الَينُهُ لَكَ ؟ فأشار برأسه أن نَعَمْ . فَلَيَّنْتُهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَة- أو عُلْبَةٌ - (يشكُّ عُمر) فِيهَا مَاء فَجَعَلَ يُدحلُ يَدَيْهِ فِي الَماءِ فَيَمْسَح بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لا الَهَ إلا الله إن لِلْمَوْتِ سكَرَاتٍ ، ثُمَّ نصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرفِيق الأعلى حَتَّى قبضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. **أخرجه البخاري ١٥/٦ و١٣٣/٨ وأحمد ٤٨/٦ .**

ولقد كانت تعاليم الإسلام الحكيمة كانت منطلقا أساسياً للمرأة نحو الاطلاع بدورها المنوط بها ، والقيام بهذا الدور على أتم وجه وأكمله فهي لا تقل مسؤولية عن الرجل أمام الله عز وجل ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ

عَنْ رَعِيَّتِهِ. **أَخْرَجَهُ أحمد ١٢١/٢(٦٠٢٦) و"البُخَارِي" ٦/٢ و٦/٤(٢٧٥١) و"مسلم" ٨/٦(٤٧٥٥).**

ج – المرأة في السيرة النبوية :

بل ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه في رحلة الإسراء والمعراج – التي خلدها الله في سورتين من سور القرآن الكريم : سورة الإسراء وسورة النجم – قد رأى ما أعده الله تعالى لماشطة ابنة فرعون ، تلك المرأة التي ثبتت على إيمانها ووثقت بما عند ربها ، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِى أُسْرِىَ بِى فِيهَا أَتَتْ عَلَىَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا. قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِىَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِى قَالَتْ لاَ وَلَكِنْ رَبِّى وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ. قَالَتْ أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِى قَالَتْ نَعَمْ رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِىَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِى وَعِظَامَ وَلَدِى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا. قَالَ ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِىٍّ لَهَا مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِى فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ.قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ. **أخرجه أحمد ٣٠٩/١(٢٨٢٢).**

بل ذكرت لنا كتب السيرة أن أول من آمن بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت امرأة وهي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛

أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أخبرته ؛ أنها قَالَتْ:كَانَ أول مَـا بُدِئ بِهِ رَسُولُ اللهِ فَي مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ . فَكَـانَ لا يَـرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ، يَتَحَنَّثُ فِيهِ (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ اُولاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أهله وَيَتَزَوَّدُ لِذالِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا . حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَـارِ حِرَاءٍ . فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : مَا أَنا بِقَارِئٍ . قَالَ : فأخذني فَغَطَّنِي حَتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أرسلني فَقَالَ : اقرأ . قَالَ : قُلْتُ : مَا أنا بِقَـارِئٍ . قَالَ : فأخذني فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ . ثُمَّ أرسلني فَقَالَ : اقْـرأ . فَقُلْتُ : مَا أنا بِقَارِئٍ . فأخذني فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ . ثُمَّ أرسلني . فَقَالَ : (اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْـرأ وَرَبُّـكَ الأكرم . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) . فَرَجَعَ بِهَـا رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ . فَقَالَ : زَمِّلُونِي . زَمِّلُونِي . فَزَمَّلُوهُ حَتَّن ذَهَبَ عَنْهُ الروْعُ ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَـةَ : إي خَدِيجَـةُ ، مَالِي ؟ وَاخْبَرَهَا الْخَبَرَ . قَالَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي . قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : كَلاَّ ، ابْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّه أبدا . وَاللَّه إِنَكَ تَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَى أتت بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أسد بْنِ عَبْدِ الْعُزَى ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ ، أخي أبيها . وكَانَ امرأ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وكَـانَ يَكْتُـبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ . وكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ . فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : إي عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أخيك . قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : يَا ابْنَ أخي مَاذَا تَرَى ؟ فَاخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَـرَ مَا رَاهُ . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي اُنْزِلَ عَلَى مُوسى صلى الله عليه وسلم ، يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، يَالَيْتَنِي أكون حَيًّا حِينَ يُخْرِجُـكَ قَوْمُـكَ . قَـالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أو مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ ، لَمْ يأت

رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنصرك نَـصْرًا مُـؤَزَّرًا. **أخرجه أحمد ١٥٣/٦ و"البُخَارِي" ٣/١ و٢١٤/٦ و"مسلم" ٩٧/١ و٩٨ و"التِّرمِذي" ٣٦٣٢.**

كما يُذكر – كذلك – أن أول من استشهد دفاعا عن هذا الدين كانت امـرأة وهي الصحابية الجليلة، سُمَـيّة بنتُ خَـيَّاط، زوجة ياسر، وأم عمار –رضى الله عنهم ، وأول من فقدت بصرها في سبيل الله " زنيرة " رضي الله عنها ، ولا ننسى دور فاطمة بنت الخطاب في إسلام أخيها عمر بن الخطاب رضـي الله عنها ، والذي كان إسلامه فارقا وقوة لهذا الدين ، واستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأم سليم ؛ الرميصاء بنت ملحان التي تقدم لهـا أبـو طلحـة الأنـصاري ليتزوجها وكان مشركاً فقالت له : إن مثلك يا أبا طلحة لا يُرَدُّ ، لكنني لـن أتزوجك وأنت رجل كافر فظن أبو طلحة أن أم سليم تتعلل عليه بذلك ، وأنها قد آثرت عليه رجلاً آخر أكثر منه مالاً أو أعز ونفراً ، فقدْ أساء ظنًّا حـين اعتقد أنّ خاطبًا أغنى منه قد سبقه إلى أم سليم ، فتعللت بموضوع الكفر كي تنسحب منه ، وتتزوج ذلك الأغنى .فقال : والله ، ما هذا الذي يمنعك مني يا أم سليم قالت ما الذي يمنعني إذاً ؟ قال : الأصفر والأبيض ، الذهب والفضة ، هذا سوء ظن محض .قالت : الذهب والفضة !!.قال : نعم .قالت : بل إني أشهدك يا أبا طلحة ، وأشهد الله ورسوله أنك إن أسلمتَ رضيتُ بك زوجـاً من غير ذهب ولا فضة ، وجعلتُ إسلامك لي مهراً .. فما دمتَ تقول : إنني آثرتُ عليك رجلاً أغنى منك ، فأنا أشهِد الله ، وأشهِدك أنك إذا أسلمتَ فلـن آخذ منك شيئًا ، مهري هو إسلامك .وما إن سمع أبو طلحة كـلام أم سُـليم حتى صرف ذهنه إلى صنمه الذي اتخذه من نفيس الخشب وخص به نفـسه كما يفعل السادة من قومه .. عنده صنم من خشب محفور مرتب هو إلهه ،

لكن أم سليم أرادت أن تطرق الحديد وهو ما زال حامياً ، فقالت له : ألست تعلم يا أبا طلحة أن إلهك الذي تعبده من دون الله قد نبت من الأرض .. قال : بلى ، قالت : أفلا تشعر بالخجل ، وأنت تعبد جذع شجرة جعلت بعضه لك إلهاً ، بينما جعل غيرك بعضه الآخر وقوداً به يصطلي ، فأنت جعلته صنماً تعبده من دون الله ، وغيرك جعله حطباً يصطلي به في الشتاء إنك إن أسلمت يا أبا طلحة رضيت بك زوجاً ولا أريد منك صداقاً غير الإسلام .قال لها : ومن لي بالإسلام ؟ قالت : أنا لك به ، قال وكيف ؟ قالت : تنطق بكلمة الحق ، فتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ثم تمضي إلى بيتك ، وتحطم صنمك ، فانطلقتْ أسارير أبي طلحة ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .. ثم تزوج مِن أمّ سليم ، فكان المسلمون يقولون : ما سمعنا بمهر قط كان أكرمَ من مهر أم سليم ، فقد جعلت صداقها الإسلام .

وها هي أم حبيبة ؛ رملة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم تضرب لنا مثلاً رائعاً في الموالاة وحسن الانتماء لهذا الدين ، فقد روي عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه المدينة جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل منه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقام فدخل على ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طوته دونه، فقال: أي بنية أرغبت بهذا الفراش عني؟ أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال يا بنية لقد أصابك بعدي شر. **انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٨٠) وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٥/ ٤٥٧) وانظر الطبقات لابن سعد (٨/ ٧٠)).**

والسبعون الأوائل الذين دخلوا الإسلام كان منهم سبعة وثلاثون امرأة ؛ ثلاثون من الحرائر وسبعة من الإماء ، بل في بيعة العقبة الثانية التي حضرها ثلاثة وسبعون رجلا من الأنصار حرص النساء على حضور تلك البيعة المباركة فحضرت معهن نسيبة بنت كعب (أم عمارة) والتي ظلت تجاهد في سبيل رفع راية الحق حتى أنها سقطت في أحد، وقد أصابها اثنا عشر جرحًا، وقد خرجت يوم أحد مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب ومعها سقاء تسقي به المسلمين، فلما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تباشر القتال، وتذب عنه بالسيف وقد أصيبت بجراح عميقة وشهدت بيعة الرضوان وقطع مسيلمة الكذاب ابنها إربا إربا فما وهنت وما استكانت، وشهدت معركة اليمامة أيضا في حروب الردة مع خالد بن الوليد فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحًا ، وأما الثانية فهي أسماء ابنة عمرو من بني سليمة قيل: هي والدة معاذ بن جبل، وقيل: ابنة عمة معاذ بن جبل رضي الله عنهم جميعًا. **ابن هشام (٨٠/٣) أسد الغابة (٣٩٥/٥) البداية والنهاية (١٥٨/٣: ١٦٦) الإصابة (٨/٨).**

ودور المرأة في الهجرة دور لا ينكر ، فها هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تلك الفتاة التي كانت تحمل أمانة يُشفق على الرجال من حملها ، فكانت تقطع ثلاثة أميال إلا قليلاً – وهي الصبية الناشئة– في جوف الليل ، ووحشة الطريق ، بين أسنة الصخر ، ومساحات الرمال ، تمشى متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد إلى هامته ، ثم تنحدر في جوفه فتوافي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحبة كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته ، أو رأته ، من حديث القوم وخبرهم.

قامت الصغيرة بدور فدائي وحملت أمانة الإمداد والتمويل للرحلة المباركة ، ونقل أخبار الكفار ، ولما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – الرحيل من

الغار متجهاً إلى يثرب جهزت الزاد والماء ، ولم تجد ما تربطهما به ، فشقت نطاقها وربطتهما به ، وحين فعلت ذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة" فقيل لها ذات النطاقين .

وحسبنا أن نذكر المرأة المسلمة بدورها حتى تعرف أن لها دورا تجاه عقيدتها ودينها ، ويوم أن تقوم بهذا الدور سوف يعود للإسلام مجده وعزته وتعلو راية الإسلام خفاقة عالية في كل زمان ومكان .

قال الشاعر العشماوي :

هل يستوي من رسول الله قائده * دوماً وآخر هاديه أبو لهب**
وأين ما كانت الزهراء أسوتها * ممن تقفت خطاً حمالة الحطب**
فلا تبالي بما يلقون من شبه * وعندك الشرع إن تدعيه يستجب**
سليه من أنا ؟ من أهلي ؟ لمن نسبي * للغرب أم أنا للإسلام والعرب؟**
لمن ولائي؟ لمن حبي؟ لمن عملي؟ * لله أم لدعاة الإثم والكذبِ ؟**
هما سبيلان يا أختاه مالهما من * ثالث ، فأكسبي خيراً أو اكتسبي**
سبيل ربك، والقرآن منهجه * نورٌ من الله لم يحجب ولم يغب**

إذن لقد اضطلعت المرأة منذ فجر الإسلام بهذه المسؤولية فدافعت عن دينها بكل ما تملك ، رائدها في ذلك عقيدة راسخة نقية لا تعرف في الله تعالى التلون ولا التراجع .

ثالثا : من صور تكريم الإسلام للمرأة

لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة وكرمها غاية التكريم ، وفى تكريم الإسلام للمرأة جاء بمبادئ وصور تتلخص في الأتي :

١- أن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء وذلك في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾. **سورة النساء: آية ١.**

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " إنما النساء شقائق الرجال". **أخرجه الترمذي في السنن ١٢٠ ص ١٩٠، وسنن الدرامي ٣١٥/١ ، والبيهقي ١٦٨/١، وأبو داود ٦١/١، ومسند أحمد ٣٧٧/٦ .**

٢- دفع الإسلام عنها اللعنة التي كانت تلاحقها كما جاء في اليهودية والمسيحية .

فالقرآن يحدد مسئولية آدم عند ذلك وإن شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة . وفي ذلك يقول الله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى .إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى .فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى .فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ **سورة طه ، آية ١١٥ – ١٢١ .**

وفي كل هذه السور يذكر لنا القرآن أن آدم هو المسئول الأول عن العصيان ثم تبعته امرأته.

٣- كرم الإسلام المرأة وليدة ، وفتاة ، وزوجة ، وأُماً وجعل الجنة تحت أقدامها.

- أما إكرامها بنتا فقد جاء تكريمها في أحاديث كثيرة منها قوله صلي الله عليه وسلم ": أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وزوجها فله أجران" .**أخرجه البخاري في صحيحه ٤٨، ومسلم ١٣٤/١، وصحيح ابن ماجه ٤٦٤/١ المستدرك للحكم ٢٢٣/٣، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٥/١٠.**

- أما إكرامها زوجة ففي آيات وأحاديث كثيرة منها قوله تعالى:" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً". **سورة الروم: آية ٢١.**

وقوله صلي الله عليه وسلم " خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة ، إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك". **صحيح مسلم ١٠٩٠/٢، صحيح ابن حبان /٣٤٠.**

- وأما إكرامها كأم ففي آيات كثيرة منها : قوله تعالي :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . **سورة الأحقاف: آية ١٥.**

- وجاء رجل إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال : أريد الجهاد فقال له : " هل أمك حية ؟ " قال نعم ، قال : "إلزم رجلها فثم الجنة " **سنن ابن ماجه ٩٢٩/٢، المصنف لابن أبي شيبة ٣١٩/٥، المعجم الكبير للطبراني ٣٣١/٨، انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج ٨ صـ ١٣.**

وقد ذكر القرآن عدداً من النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية مثل حواء، وأم موسى وأخته ، وزوجة فرعون ، وزوجة عزيز مصر، كما أجابت آيات القرآن الكريم أسئلة النساء وحل مشاكلهن مثل سورة " المجادلة" التي حلت مشكلة الظهار.

كما اشتملت سورة النساء على كثير من الأحكام الخاصة بالنساء وسورة

الطلاق والمساواة بين الرجال والنساء في الحساب والعقاب . وذلك في قوله تعالي :" فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى " .
سورة آل عمران : أية ١٩٥.

فالرجل والمرأة متكافئان في الجزاء وإن تكافئا في العمل، ومن نكص على عقبيه منهما وتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه .

ولبيان فضل الإسلام على المرأة نعرض لبعض الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة ومنها :

أ- من الناحية الإنسانية والاجتماعية :

رفع الإسلام الظلم عن المرأة المسلمة بكل ألوانه فأصبحت الأساس في المجتمع الإنساني فهي الأم و الأخت والزوجة والابنة ، وأصبحت الأساس في الأسرة الإنسانية وعليها يكون بنيان المجتمعات فاحتفظ الإسلام بإنسانيتها كاملة مع الرجل سواء بسواء ليقضي على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته ، كما سوى بينهما في الجزاء.

وبيَّن نوع الصلة بين شقيَ النفس الواحدة وذلك في قوله تعالي :" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً "
سورة الروم : آية (٢١) ، أي جعل بينكم وبين الزواج الذي شرعة لكم توادداً وتراحماً غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ، والتنبيه على ما ذكر ليست آية واحدة منفردة ، وإنما هي مشتملة على آيات شتى فهي تحتاج إلى تفكير .

وقد ساوى بينهما في الحقوق المدنية فجعل لها الأهلية الكاملة.

ولقد قرر الإسلام للمرأة حق التملك والإرث وسائر الحقوق المادية والمعنوية. وقد ساوى بينها وبين الرجل في التكاليف والعقيدة ، والفضائل واحترام رأيها ، وكفل لها حقا في الزواج بإذنها ورضاها دون إكراه ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لا تنكح الثيب حتى تستأمر ، ولا تنكح

البكر حتى تستأذن وإذنها صمتها)). **سنن الترمذي ، ٤١٥/٣ ، سنن البيهقي ١١٩/٧ سنن الدار قطني ٢٣٨/٣ ، سنن أبي داود ٢٣١/٢ ، مسند أبي عوانة ٧٣/٣ .**

وقد حث الإسلام على تعليم المرأة وتهذيبها وتثقيفها لأن روح القرآن تدعوا إلى ذلك.

وقد فتحت أبواب العلم بمختلف صنوفه للبنت العربية ونبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات وبرزت في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف ، وكانت منهن معلمات فضليات تخرج على أيديهن كثير من أعلام الإسلام ومنهن السيدة نفسية بنت الحسن التي برعت أيضاً في علم الطب.

وكانت فرص التعليم متاحة أيضاً للجواري . ومن هنا يتضح لنا أن الإسلام قد اعترف بإنسانية المرأة كاملة ، وقد نالت من حقوقها الاجتماعية ما لم تنله في عصر من العصور .

ب- من الناحية القانونية :

إذا نظرنا إلى حقوق المرأة من الناحية القانونية نجد أنها قد نالت من الحقوق ما لم تقرره شريعة من الشرائع ، فلقد أعطى لها الإسلام حق الميراث .

فمن حسنات الإسلام على المرأة بعد أن كانت النساء لا يؤول إليهن من ميراث الرجال شيء ، اختص النساء بنصيب مما ترك الرجل .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾.
سورة النساء : آية ٧ .

وقد اعترف لها الإسلام بأهلية كاملة بأن جعلها قبل البلوغ في طاعة أوليائها وجعلت ولايتهم عليها ولاية تأديب وعناية لشؤونها وتنمية لأحوالها ، وجعلها

بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية مثلها مثل الرجل ، ولهذا فهي تجيز لنفسها عقود البيع ، والرهن ، والإجارة، والمساقاة ، والمزارعة وغيرها .

ج- من ناحية القانون الجنائي الإسلامي :

لقد جاء الإسلام وحياة العرب قائمة على التفاضل بينهم بالنسب والمال والسمعة ، وصور هذا التفاضل كانت واضحة حتى في بعض المظاهر الدينية .

ففي المجال الديني كان لقريش مناسك الحج ، وفي مجال القانون الجنائي كان التمييز بين الناس واضحاً .

ثم جاء القرآن الكريم وقرر مبدأ المساواة بين جميع الناس وقال بأن الناس متساوون أمام أحكام الله تعالى لا فرق في ذلك بين الأحكام الدينية والأحكام القانونية .

وقد نص القرآن على القواعد العامة التي بني عليها مبدأ المساواة أمام النصوص الجنائية في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. **سورة الحجرات : آية ١٣ .**

وقد قرر الرسول– صلى الله عليه وسلم – قاعدة المساواة في تطبيق النصوص الجنائية بنص واضح جلي لا يحتمل التأويل ، فقد سرقت امرأة من بني مخزوم عقب فتح مكة فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم عقوبة قطع اليد ، فطلبوا من أسامة بن زيد أن يشفع لها فغضب الرسول وخطب في الناس فقال : (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها) . **أخرجه البخاري في صحيحه ج٣ ص**

١٣٨٣ ، وصحيح مسلم ١٣١٥/٣ ، صحيح ابن حبان ٣٤٨/١٠ ، والمستدرك للحاكم ٤٢١١٤ ، مسند أبي عوانة ١٢٠١٤ ، سنن الترمذي ٣٧١٤ و سنن البيهقي ٣٥٤/٨و سنن أبي داود ١٣٣١٤ ، سنن النسائي ٧١/٨ ، المسند لأحمد ٣٨٦/٣ ٠

ومن هذه النصوص يتبين أن الشريعة الإسلامية الغراء طبقت تطبيقاً كاملاً في مبدأ الثواب والعقاب ، وفي المساواة بين الناس وأنه لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وأن المرأة في ظل الإسلام قد نالت جميع حقوقها الدينية والاجتماعية والسياسية والقانونية ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا الدين هو الدين العالمي الصالح لكل زمان ومكان .

الفهرس